وَدَّاع

تحية لروح شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمن العراقي

عَـوَادِي الـــدّهْـــرِ خَلَّتنِي جَـــزُوعَـــا
وَلَمْ تَتْـــرُكْ بِأجْفَـــانِي دُمُـــوعَـــا
خَضَعْتُ لَهَـــا وَلَـــوْلاَ مَـــا أُعَـــانِي
مِنَ الأحْـــدَاثِ لَمْ أعْـــرِف خُضُـــوعـــاً
نَعَىٰ النَّـــاعُـــونَ فِي فَـــاسٍ فَتَـــاهَـــا
وَكَـــوْكَبهَـــا وَعَـــالِمِهَـــا الضَّلِيعَـــا
فَـأخْـــــرَسَنِـي الأسَىٰ وَأذَابَ قَلْبِـي
وَأمْسَكْتُ الحَنَـــايَـــا وَالضُلُـــوعَـــا
وَلَـمْ تَسْلَس لِهَيْبَتِـــــهِ القَـــــوَافِـي
وَعَهْـــدِي بِـــالقَـــوَافِي أنْ تُطِيعَـــا !
كَـــأنّـــي لَـــمْ أعِـــش إلاَّ لأبْكِـــي
وَأرثِي كُـلَّ آوِنَـــةٍ صَـــرِيعَـــا!
مَـــوَاكِبُ بَعْضُهَـــا فِي إثْـــرِ بَعْضٍ
تُـــزَلْـــزِلُ صَـــرْحَ عِـــرتِنَـــا المَنِيعَـــا
نُكَفْكِـفُ أدْمُعـــــاً فَتَفِيـضُ أُخْـــــرَى
وَنَـرْأبُ صَـــدْعَنَـا فَنَـــرَى صُـدُوعَـــا !

كَأنّ لِـــدَهْـــرِنَـــا فِينَـــا تِـــرَاتٍ
وَجُـــرْمـــاً لاَيَـــرَى فِيـــهِ شَفِيعَـــا !
ذَكَـــرْتُ فَقِيـــدنَـــا فَـــذَكَـــرْتُ دُنْيَـــا
مِنَ الأمْجَـــادِ تُـــوشِكُ أنْ تَضِيعَـــا !
ذَكَـــرْتُ بِـــهِ شَبَـــابِي فِي رِيَـــاضٍ
مِنَ العِـــرْفَـــانِ أنَسْتَنِـي الـــرّبِيعَـــا
عَـــرَفْتُ فَقِيـــدَنَـــا فِيهَـــا مَنَـــاراً
وَشَمْســـاً تَمْـــلأُ الـــدُّنْيَـــا سُطُـــوعَـــا
يَشِعُّ بَشَـــاشَـــةً وَيَفِيضُ بِشْـــرَا
وَيَنْشُـــرُ فِي مَجَـــالِسِـــهِ البَـــدِيعَـــا
وَيُصْغِي سِيبَـــوَيْـــهِ إذَا حَكَـــاهُ
وَيُحْسِنُ فِـي أحَـــاجِيـــهِ الصَّنِيعَـــا !
سَتَـــذْكُـــرُهُ مَـــوَاقِـفُ خَـــالِـــدَاتٌ
تُبَـــوِئُ رُوحَـــهُ نُـــزُلاً رَفِيعَـــا
عَـــرَفْتُ فَقِيـــدَنَـــا فِيهَـــا جَسُـــوراً
رَبِيطَ الجَـأشِ يِقْتَحِمُ الجُمُـــوعَـــا
يُنَـــاضِلُ فِـي تَحَـــدٍ وَهُـــوَ شَيْخٌ
يُبَـــارِي النّشْءَ طَمَـــاحـــاً نَـــزُوعَـــا
وَلَـمْ يُقْبِـل عَلَـى دُنْيَـــــاهُ يَحْنِـي
لَـــذَائِذَهَـــا وَيَحْتَلِـبُ الضُّـــرُوعَـــا !

وَمَـــا زَكَّى سِيَـــاسَـــةَ مُسْتَبِـــدٍ
بِـــأُمَتِـــهِ وَلاَ أَلِـفَ الـــرُّكُـــوعَـــا !
وَلاَ اتَّخَـــــذَ التُّقَىٰ وَالعِلْـمَ كَسبـــــاً
وَلَكِنْ كَـــانَ مُحْتَسِبـــاً قَنُـــوعَـــا
وَأَعْطَـىٰ مِن مَعَـــــارِفِـــــهِ فَأَغْنَـى
وَأَشْبَعَ مَـنْ شَكَـا فِي العِلْـمِ جُـوعَـــا
شَمَـــــائِلُ زَانَهَـــــا خُلُقٌ وَدِيـنٌ
وَرُوحٌ مَـــا تَعَـــوَدَتِ الخُنُـــوعَـــا
وَمَـــا كَـــانَتْ جُهُـــودٌ مُخْلِصَـــاتٌ
لِـــوَجْـــهِ اللَّـــهِ يَـــوْمـــاً أَنْ تَضِيعَـا !
فَيَـــانَجْمـــاً تَهَـــاوَىٰ مِن عُـــلاَهُ
وَلَمْ أَرَ فِي الثَّـــرَىٰ نَجْمـــاً صَـــرِيعَـا !
مَتَىٰ اهتَـــدتِ الشُّعُـــوبُ بِـــلاَ عُقُـــولٍ
تُجَنِبُهَـــا المَخَـــاطِـــرَ وَالـــوُقُـــوعَـــا ؟
وَهَـلْ يَسْتَنْشِـقُ السَّـــــــارِي بِلَيْـلٍ
عَبِيـــرَ الأَمْنِ إِن فَقَـــدَ الشُّمُـــوعَـــا ؟
وَلَكِـنَّ الأُصُـــــولَ وَإِنْ تَـــــوَارَت
تُخَلِّفُ فِـي مَنَـابِتِهَـــا الفُـــرُوعَـــا !
وَمَـــــا أَرْزَاءُ فَـــــاسٍ فِي بَنِيهَـــــا
تُـــودِعُهُم كَمَـــا تُـــزْجِي القَطِيعَـــا

بِخَطْبٍ يُسْتَسَـــــاغُ الشِعْـــــرُ فِيـــــهِ

وَيَسْهُل أن نُـــرِيقَ بِـــهِ الـــدُّمُـــوعَـــا

عَـــــــزَاءُ العِلْـم أنّـكَ فِيـــــــهِ حَـيٌّ

وَإنْ أوْرَثَتْنَـــا حُـــزْنـــاً مُـــرِيعَـــا

وَفِي أغْـــرَاسِكَ الخَضْـــرَاء عُمْـــرٌ

مَـــدِيـــدٌ يَفْضُلُ العُمْـــرَ السَّـــرِيعَـــا

عَلَيْكَ سَحَـــائِبُ الـــرَّحْمَـــانِ تَتَـــرَى

وَتَغْمُـــرُ قَبْـــرَكَ الـــرَّحـبَ الـــوَسِيعَـــا